علاقة المجاز في الانزياح: مقاربة نقديّة بين الدّرس البلاغيّ والدّراسات النّقديّة الوافدة

The relationship of metaphor in linguistic deviation: A critical approach between the rhetorical study and the incoming critical studies

أ. **نزيه عزمي أبو سْنينة:** باحث دكتوراة في الأدب العربي، جامعة النجاح الوطنيّة – نابلس، فلسطين

Mr. Nazih Azmy Abu Sneine: PhD Researcher in Arabic Literature, An-Najah National University – Nablus, Palestine.

DOI: https://doi.org/10.56989/benkj.v3i8.549

الملخص:

هدفت الدراسة إلى التعرف على طبيعة علاقة المجاز في الانزياح، وذلك كمقاربة نقديّة بين الدّرس البلاغيّ والدّراسات النّقديّة الوافدة، ولتحقيق أهداف الدراسة فقد اعتمد الباحث على منهج تحليل المضمون، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أبرزها أنّ الانزياح يظهر في اللّغة في شكلين اثنين، تتولّد منهما مجموعة من الأشكال والتجليات الانزياحيّة، فالأوّل: هو الانزياح الدّلاليّ، الّذي يرتبط بالصّور البلاغيّة؛ كالاستّعارة والتّشبيه والمجاز؛ ولذلك يمكن تسميته بالانزياح التّصويريّ، والثّاني هو الانزياح التّركيبيّ الّذي يرتبط بالتّركيب والنّحو والمعجم وما يتّصل بهما، وأنَّ هناك العديد من المحاذير المشتركة بين استخدام الانزياح والمجاز باستعمال الألفاظ في غير ما وضعت له، والتّوسع في الاستعمال إلى حدّ استخدام الألفاظ البذيئة والنّابية أو ما يدلّ عليها.

الكلمات المفتاحية: المجاز، الانزياح، الدرس البلاغي، الدراسات النقدية، الدراسات النقدية الوافدة

Abstract:

The study aimed at identifying the nature of the metaphor relationship in linguistic deviation, as a critical approach between the rhetorical study and the incoming critical studies. The researcher relied on the content analysis approach, to achieve the objectives of the study. The study found a set of results, the most significant of which is that linguistic deviation appears in the language in two forms, from which a group of deviating forms and manifestations are generated. The first: is the semantic deviation, which is associated with rhetorical images; such as image, simile, and metaphor; Therefore, it can be called figurative deviation. The second is the synthetic deviation, which is related to the composition, grammar, lexicon, and what is related to them.

Keywords: metaphor, deviation, rhetorical study, critical studies, incoming critical studies.

المقدمة:

جاء في كتاب: (المجاز في لغة العرب قضيّة خياليّة ذهنيّة لصاحبه أحمد بن محمد بن الصّادق النّجار) أنّ المجاز مجرد "مصطلح حادث نشأ من جهة المعتزلة"[1] فمن أوائل مؤسسي ما يعرف بعلم البلاغة هو: الجاحظ المعتزليّ، ثمّ عبد القاهر الجرجانيّ الأشعريّ، فالمجاز باب من علم البلاغة الّذي نشأ في أحضان المعتزلة، وترعرع بين يدي الأشاعرة؛ ولكنّه أصيل قبل ذلك في لغة العرب بالسّليقة والإلهام.

ومما جاء في هذا الكتاب أيضًا: "تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز، هو تقسيم اصطلاحي، وهذا الاصطلاح حدث بعد القرن الثالث الهجري"[2]، فيتضح أن الصّحابة ومن تبعهم – رضي الله عنهم – لم يذكروا ذلك التّقسيم بمصطلحاته، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، فهم أهل بلاغة وفصاحة؛ والاختلاف حول نشأة المجاز يُبَصرّنا بشبهات عدّة، منها: فساد مصطلح المجاز، نظرًا لفساده في نفسه وفساده في لوازمه، وليس الفساد لتأخّر ظهوره، بل يعود السّبب إلى أنّ المعتزلة جعلوا "الأصول العقليّة هي الأصل في اللغات والعقائد"[3]. فسبب إحداثهم للمجاز "أنهم لما رأوا أنّ النّصوص الشّرعيّة معارضة لعقائدهم الفاسدة لجؤوا إلى اللّغة فأحدثوا فيها ما لا يعرفه العرب ولا خطر على بال"[4]. وبهذا يتضح وجود المجاز قبل المعتزلة عند العرب، ولكنّ بمعنى آخر يختلف عن المعنى الوهميّ، الذي أحدثه المعتزلة والأشاعرة، ممّا وفّر لهم ولأهل الكلام مطيّة في تأويل معاني صفات الله، وقد وصل الخوض في هذا الكلام إلى القول بخلق القرآن الكريم.

تدور مشكلة الدراسة حول طبيعة العلاقة بين المجاز في الانزياح، وبالتالي يمكن التعبير عن مشكلة الدراسة في السؤال الرئيسي التالي: ما طبيعة العلاقة التي تميز المجاز في الانزياح؟

ويتفرع من السؤال السابق مجموعة من الأسئلة الفرعية على النحو التالي:

- ما المقصود بالمجاز؟ وما أشكاله؟ وما أسبابه؟ وما فائدته؟ وما أبرز الشبهات المثارة حوله؟
- ما المقصود بالانزياح؟ وما وظيفته؟ وما أنواعه؟ وما فوائده؟ وما محاذيره؟
- ما طبيعة العلاقة بين المجاز والانزياح في الدّرس البلاغيّ العربيّ والدّراسات النّقديّة الوافدة؟

وانطلاقاً مما سبق؛ ستعمل الدراسة على تحقيق الأهداف التالية:

---

[1] النجار، أحمد بن محمد الصادق (1435هـ): المجاز في لغة العرب قضية خيالية ذهنية، ط1، المدينة المنورة: دار النصيحة، ص11– 12.

[2] المرجع السابق، ص 11.

[3] المرجع السابق، ص 13.

[4] المرجع السابق، ص12.

- فهم المقصود بالمجاز، واستعراض أشكاله، والتعرف على أسبابه، وفهم فائدته، والإحاطة بأبرز الشبهات المثارة حوله.
- فهم المقصود بالانزياح، والتعرف على وظيفته، واستعراض أنواعه، وفهم فوائده، والإحاطة بمحاذيره.
- التعرف على طبيعة العلاقة بين المجاز والانزياح في الدّرس البلاغيّ العربيّ والدّراسات النّقديّة الوافدة.

المبحث الأول: مفهوم المجاز وأشكاله وأسبابه وفائدته والشبهات المثارة حوله

مفهوم المجاز:

المجاز لغة: قال صاحب لسان العرب في المجاز: "جوز: جُزْتُ الطّريق، وجاز الموضع جوزًا، وجؤوزًا، وجوازًا، ومجازًا، وجاز به، وجاوزه، جوازًا، وأجازه، وأجاز غيره، وجازه: سار فيه، وسلكه، والمجاز، والمجازة: الموضع، والمختار: مجتاب الطّريق، ومجيزه، والمجازة: الطّريق، إذا قطع من أحد جانبيه"[1].

المجاز اصطلاحاً: "هو اللّفظ المستعمل في غير ما وُضع له لعلاقة مع قرينة دالّة على عدم إرادة المعنى الأصليّ"[2].

فالتعريفان يتفقان على أنّ المجاز يتعدّى المعنى الحقيقيّ باللفظ، مثل قول العرب للرّجل الشّجاع: يا أسد. إذ معنى الأسد الحيوان المفترس، فيأخذون منه معنى الشجاعة.

هناك اختلاف في وجود المجاز أو عدم وجوده في القرآن الكريم إذ إنّ "بعض علماء اللغة يرون أنّ المجاز غير موجود في القرآن الكريم، وبعضهم من المعتزلة يرون أنّ المجاز موجود في القرآن الكريم"[3]؛ ممّا يفتح المجال للتّشكيك في مصداقيّة القرآن الكريم بناءً على رأي المعتزلة، إذ إنّ سبب التّشكيك في القرآن الكريم ليس وجود المجاز؛ وإنّما هو المعنى الّذي أوجده المعتزلة وغيروه وفق رؤيتهم. والتفت بعض العلماء إلى سبب العدول من الحقيقة إلى المجاز، وكان ابن جنّي من أوائل العلماء الّذين نبّهوا على ذلك، "فذهب إلى أنّ المجاز يقع لمعانٍ ثلاثة، وهي: الاتّساع، والتّوكيد، والتّشبيه، فإنّ عدم هذه الأوصاف، كانت الحقيقة البتة"[4].

[1] ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (1299هـ): لسان العرب، مادة (جوز)، القاهرة: دار بولاق، ج 5، ص326.
[2] الهاشمي، أحمد جواهر (1999م): البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ط2، بيروت: المكتبة العصريّة، ص251.
[3] النجار، مصدر سابق، ص11-12.
[4] كوّاز، محمّد كريم (2006م): أبحاث في بلاغة القرآن الكريم، ط1، بيروت: مؤسسة الانتشار العربيّ، ص24.

ورد في قوله تعالى: (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا)[يوسف: 82]. "ففي الآية الكريمة توضيح للمعاني الثّلاثة مجتمعة، وهي: الاتّساع، أي عدل عن حقيقة التّعبير الّتي هي أهل القرية، وذلك؛ لأنّه استعمل لفظ السّؤال مع ما لا يصحّ في الحقيقة سؤاله، وللتّشبيه حيث شُبّهت القرية بمن يصحّ سؤاله؛ لأنّ أهلها كانوا بها، وبالنّسبة للتوكيد، فلأنّه ظاهر اللّفظ إحالة بالسّؤال على ما ليس في عاداته الإجابة"[1]، لذا يرى ابن جنّي أنّ من أسباب وجود المجاز وجود هذه المعاني الثلاثة مجتمعة.

وذكر ابن الأثير الاتّساع أيضًا، حيث جاء تعريفه للمجاز: "فحقيقته هي الانتقال من مكان إلى مكان. وضرب مثالاً في ذلك بقوله: (زيدٌ أسدٌ)، وقال: إنّه جاز من الإنسانيّة إلى الأسديّة بوصلة، وهي صفة الشّجاعة، وقد يكون بغير وصلة، وذلك هو الاتّساع"[2]، فالاتساع في معنى المجاز متّفق عليه بين ابن جنّي وابن الأثير، فيتجاوز المعنى الحقيقيّ للكلمة، والوصول إلى الدّلالة المعنويّة، يتّضح أنّ الدّلالة جازت اللفظ بالمعنى كإعطاء الشّجاعة معنى بدلالة اللّفظ أسد، وأهل القرية بدلالة المعنى جازت إلى القرية، وهذا يوضّح أن المجاز بإجماع فيه اتساع في الدّلالة المعنويّة.

وبما أنَّ المجاز يأخذ المعاني الثّلاثة: الاتّساع، والتّوكيد، والتّشبيه، فهو يعدّل باللفظ من دلالته الحقيقيّة إلى هذه الوظائف الثّلاث، ويذكر صاحب (علم الدّلالة دراسة وتطبيق)، أن ابن قتيبة "يَعُدُّ كل ألوان البلاغة من المجاز"[3]، أما أسباب وقوع المجاز فيذكر صاحب (علم الدلالة دراسة وتطبيق) الأسباب الآتية:

1. ثقل اللّفظ على اللّسان ممّا يؤدي إلى هجر اللّفظ إلى لفظ أخف منه.
2. حقارة اللفظ ممّا يبعد الإنسان عن اللفظ الحقيقيّ إلى المجازيّ.
3. أن يكون الهدف البحث عن تحقيق غايّة لفظيّة للبديع كالجناس والمقابلة والسّجع.
4. أن يكون المقصود للتّعظيم وفيه تقوية للمعنى[4].

وبهذا التغيير لا يكون عفويًا "فهنالك علاقة متنوعة يتولد من أنماطها المختلفة ألوان المجاز المتعدّدة"[5].

[1] المصدر السابق، ص25.

[2] ابن الأثير، ضياء الدين (2007): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنّشر، ص85.

[3] لوشن، نور الهدى (2006م): علم الدلالة (دراسة وتطبيق)، القاهرة: المكتب الجامعي الحديث، ص67.

[4] المرجع السابق، ص 67-68.

[5] كوين، جون (1990): بناء لغة الشعر، ترجمة: أحمد درويش، ط1، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ص136.

أشكال المجاز:

يتوزع المجاز على شكلين هما:

1. **المجاز العقليّ:** يكون في الإسناد، وسمّاه الجرجانيّ المجاز الحكميّ، أو الإسناد المجازيّ، ولا يكون إلا في التركيب ويشتمل علاقات كثيرة.
2. **المجاز اللّغويّ:** يكون في نقل الألفاظ من حقائقها اللّغوية إلى معانٍ أخرى بينها صلة ومناسبة، وهذا المجاز يكون في المفردة والتّركيب المستعمل في غير ما وضع له[1].

أشكال المجاز اللّغويّ:

يتوزع المجاز اللغوي على شكلين هما:

- **المجاز المرسل:** كلمة استعملت في غير معناها الأصلي؛ لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصليّ، وهو المقصود بالذّات.
- **المجاز بالاستعارات:** هي اللفظ المستعمل في غير المعنى الّذي وضع له، لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصليّ[2].

أسباب المجاز:

إن عدول المتكلم في التعبير عن الحقيقة إلى المجاز له أسباب منها:

السبب الأول: الحرص على بلاغة الكلام، فقد نقل بعض العلماء عن أرباب البلاغة قولهم: إنّ المجاز في الاستعمال أبلغ من الحقيقة، وأنه يلطف الكلام، ويكسبه حلاوة، ويكسوه رشاقة، فمثلًا قوله تعالى: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ)[الحجر: 94]، وقوله: (وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا)[الأحزاب: 46] لو استعملت الحقائق في هذه المواضع لم تعط ما أُعطي المجاز من البلاغة.

السبب الثاني: تكثير الفصاحة؛ لأنّ فهم المعنى منه يتوقف على قرينة، وفي ذلك غموض يحوج إلى حركة الذّهن، فيحصل من الفهم شبيه بلذة الكسب.

السبب الثالث: التّعظيم والتّبجيل، مثل قولهم: (سلام اللّه على الحضرة العالية والمجلس الكريم)، فيعدل عن اللّقب الصّريح إلى المجاز تعظيما لحال المخاطب.

---

[1] لداك، آمال (2015): الانزياح في البلاغة العربية: أصوله وامتداداته، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي، ص170.

[2] المرجع السابق، ص 170.

السبب الرابع: التنزه عن ذكر الحقيقة كما يعبرون عن قضاء الوطر من النساء بالوطء، وكما يعبرون عن ذكر ما يخرج من الإنسان من العذرة بالغائط، ونحو ذلك.

السبب الخامس: أن تكون لفظة الحقيقة ثقيلة على اللّسان[1].

مما يثير الاهتمام لدى القارئ أن هذه الأسباب لفتت الانتباه إلى شبهات أثيرت وتمّ الرّد عليها حول أصل المجاز.

الشّبهات في المجاز والرّد عليها:

- **القول الأول:** قول ابن تيمية بأنّ سلف الأمة لم يقولوا به مثل: الخليل بن أحمد الفراهيديّ، ومالك، والشافعيّ، وغيرهم من اللّغويين، والأصوليين وسائر الأمة، فهو إذن حادث. فالجواب: أنّ العلماء الّذين أَنْكَرَ ابن تيمية معرفتهم للمجاز وذكرهم له، وجدناهم قدّ عرفوا المجاز واستخدموه، ولم ينكروه، فإن لم يذكروا المصطلح، ذكروه بالمعنى، أو ذكروا استخدامه في اللّغة بالسّليقة والإلهام.
- **القول الثاني:** إنكار ابن تيمية أن يكون لِلُّغَة وَضْعٌ أوَّل تفرَّع عنه المجاز باستعمال اللّفظ في غير ما وضع له كما يقول مُجَوِّزو المجاز؟! فيتّضح أنّ اللّغة إلهام من الله، وليست وضعية، ممّا ينفي اجتماع جماعة من العقلاء وضعوا المسمّيات وتعيينها للدّلالة على المراد منها، ويرى أنّ كل لفظ قد استعمل ابتداء فيما أريد منه دون أن يكون هناك وضع سابق على الاستعمال، والّذي دعاه إلى هذا نفي المجاز نفسه، لا في القرآن الكريم فحسب، بل فيه وفى اللّغة بوجه عام، لأنّه رأى مجوزي المجاز، يقولون: إنّ المجاز ما نقلت فيه الكلمة من المعنى الوضعيّ فاستعملت في المعنى غير الوضعيّ، وهذا النّقل هو ركن من أهم أركان المجاز، وإن احتاج بعد النّقل إلى علاقة وقرينة.

والجواب: مخالفة ابن تيمية في كلام أجمع عليه علماء الأمّة في كل زمان ومكان، وفي كل فرع من فروع علم اللّغة لها قواعد وتطبيقات، فقد أدرك الرُّوَّاد الأوائل وغيرهم حقيقة الوضع الأول والخروج عليه، ومنهم مَنْ أشار إليه معنى بغير لفظه، ومنهم مَنْ نصَّ عليه نصًّا صريحا، فيؤخذ اللّفظ بأصله أو يجاز إلى المعنى، والمراد من الأخذ والأصل، "أنّ اللفظ المتحدث عنه له دلالتان:

[1] النملة، عبد الكريم بن علي بن محمد، المهذب في علم أصول الفقه المقارن، مكتبة الرشد – الرياض، ط 1، سنة 1420 هـ – 1999 م، ج 3، ص 1170.

أحداهما: أَصْلِيَّة، وهى دلالة الوضع، والثّانيّة: فرعيّة وهى دلالة المجاز، وقد يُنَبِّهُ بعضهم بقوله: قد يُسْتَعَارُ لكذا"[1].

فالمعاجم اللّغويّة أنشئت لجمع الألفاظ اللّغويّة والوقوف على مدلولاتها الّتي كان عليها الحال عند العرب الْخُلَّص، ولم يهتموا بالاستعمال المجازيّ؛ لأنّه غير منضبط الدّلالة الوضعيّة، وإنما يكفى فيه ورود نوع العلاقة المعتبرة لا كل صورة من صورها، وعلى هذا كان يستدل على الحقائق السّماع، أما المجاز فهو قياسيّ.

لماذا نرفض المجاز؟!

جاء في كتاب ابن تيمية (إنكار المجاز عند ابن تيمية عرض ودراسة) "أنّ أبرز من أنكر المجاز هو الامام أبو إسحق الإسفراييني، ولا نعلم أن أسلم بوجود لفظ مستعمل في اللّغة في غير ما وضع له أم لم يسلّم؟، ولكنّ الصراع والنّزاع معه لم يكن لفظيًّا، وهذه إشارة إلى أنّه يسلّم بوجود لفظ مستعمل في غير ما وضع له وأنّ إنكاره للمجاز إنكارًا كليّا"[2]، بهذا وجد الباحث الاختلاف حول الأخذ بالمجاز وتطويره منذ القرن الرّابع الهجريّ.

أما عن حجج ابن تيمية في إنكار المجاز، والرّد على ذلك فهو على النّحو الآتي:

الحجّة الأولى: "القول بتقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز، أمر حادث وواقع في كلام المتأخّرين، ولم يتكلّم فيه أحد من العلماء المتقدّمين"[3].

ونستطيع الاجابة على هذه الحجّة من ستة أوجه، يوجزها الباحث من كتاب (موقف ابن تيمية من الأشاعرة):

الوجه الأوّل: لم تقسم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز، وإنّما هذا التّقسيم كان في المعاني؛ يعني أنّ هذا التّقسيم جرى في المدلول وليس في الدّال.

الوجه الثّاني: وقع هذا التّقسيم في كلام المتأخّرين فحسب، ولم يقع في كلام المتقدّمين، أمر ليس محرّمًا؛ لأنّ اصطلاحات النّحو، واللّغة، والنّقد، والبلاغة وغيرها، نضجت عند المتأخّرين، وعدم ظهور هذا الاصطلاح وغيره في عهد الصّحابة والتّابعين – رضي الله عنهم – يعود إلى عدم حاجة الصّحابة إلى علم يضبطون به قواعد اللّغة العربيّة؛ لأنّها لغتهم وبها نزل القرآن الكريم، وبها تكلّم

[1] النجار، مصدر سابق، ص 25.

[2] التركي، إبراهيم بن منصور (2018م): إنكار المجاز عند ابن تيمية عرض ودراسة، ط2، الرياض: دار كنوز للنشر والتوزيع، ص154.

[3] المحمود، عبد الرحمن بن صالح (1995م): موقف ابن تيمية من الأشاعرة، ط1، الرياض: مكتبة الرشد – ج3، ص 1174.

النبي محمّد – صلّى الله عليه وسلّم – فكانوا يفهمون كلامه، وكذلك فهموا ما نزل من آيات الذّكر الحكيم.

الوجه الثّالث: بما أنّ مصطلح المجاز حادثًا بعد القرن الثّالث الهجري، فعجبًا لأصحاب هذه الحجّة، وأي خير أعظم من هذا الخير الّذي به تضبط قواعد هذا العلم الشّريف؟! أعني بمعرفة قواعد اللّغة العربية تحصل معرفة أحكام التّنزيل العزيز والسّنّة المطهّرة، وبضبط قواعد اللّغة وأحكامها ومعانيها يفهم المنهج الربانيّ، وذلك بتجرّد العلماء عبر الأجيال لخدمة هذا الدّين بواسطة سعيهم.

الوجه الرّابع: إنّ عدم تكلّم الصّحابة والتّابعين – رضي الله عنهم– بهذا الاصطلاح؛ نظرًا لتأخّر علوم العربيّة، فليسوا بحاجة إلى هذه العلوم؛ لأنّهم أهل اللّغة، أمّا الأئمة المشهورون في العلم؛ فنرجّح عدم تكلّمهم في اصطلاح المجاز نتيجة عدم ظهور هذا الاصطلاح بهذا المعنى الّذي تداوله العلماء، وإلّا لما سكتوا عنه.

الوجه الخامس: لقد أقرّ الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله– بوجود المجاز عندما بيّن ذلك، في قوله: (إنا ونحن) ونحو ذلك في القرآن الكريم من مجاز اللّغة، يفهم من ذلك، أنّه ليس من معارضٍ للقول بالمجاز، وعدم قول الخليل بن أحمد وسيبويه وأبي عمرو بن العلاء، فيبرّر بانصباب اهتمامهم على نقل حقائق اللّغة، واستنباط القواعد النّحويّة.

الوجه السّادس: بعد استقرار الدّرس النّحويّ واللّغويّ اتّجه العلماء إلى دراسة أساليب العرب في كلامهم، والّتي من بينها المجاز بفنونه وأقسامه في الكلام، فهذا تطوّر ناسب فهم العلم الشّريف والدّاخلين الجدد في الإسلام من غير العرب.

هذا ما استخلصه الباحث من الأوجه السّتّة في الرّد على الحجّة الأولى، أنّ ظهور مصطلح المجاز وتطوره حادثٌ مواكبٌ للتّطور اللّغويّ وكثرة الدّراسات في اللّغة وتفاصيلها، أما الحجّة الثّانية فهي: اللّفظ الموضوع قبل الاستعمال لا حقيقة ولا مجاز[1]:

الرّد عليها: تعرّض ابن تيمية – رحمه الله – لموضوع الفرق بين حدّ الحقيقة والمجاز وهو قولهم: "إنّ الحقيقة هي اللّفظ المستعمل فيما وضع له، والمجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، ثمّ ادّعاء بعض المتأخّرين أنّ اللفظ الموضوع قبل الاستعمال لا حقيقة ولا مجاز، فإذا استعمل في غير موضوعه فهو مجاز لا حقيقة له. ثمّ قال: وهذا كلّه إنّما يصح أنْ لو عُلم أنّ الألفاظ العربيّة وضعت أولًا لمعان، ثمّ بعد ذلك استعملت فيها، فيكون لها وضع متقدّم على الاستعمال، وهذا إنّما صحّ على قول من يجعل اللّغات اصطلاحيّة، ونحن نوافقه في الشّطر الأخير من كلامه هذا وهو ردّه على نظريّة (الاصطلاح والتّواضع)، فإنّ أصحاب هذه النّظريّة ادّعوا أنّ جماعة من العقلاء

[1] المصدر السابق، ص1170.

اجتمعوا واصطلحوا على أن يسموا هذا بكذا وهذا بكذا، وجعلوا هذا عامًّا في جميع اللّغات، وهذا القول هو مجرّد ادّعاء، إنّه العقل الوثنيّ اليونانيّ، فقد استعار لنا علماء (رؤساء الفرق الإسلاميّة) هذه النّظريّة عن الفيلسوف ديموقراطيس من فلاسفة يونان ليحتكموا إليها في تفسير اللّغة وأوضاعها فحصل بالتّسليم بها إثبات أنّ للألفاظ وضعًا متقدّمًا على الاستعمال، وهذا باطل لأنّ؛ ألفاظ اللّغة الّتي لها مجازات يقتضي بناءًا على رأيهم أنّها مرّت بأربع مراحل زمنيّة مجهولة هي: مرحلة الوضع الأوّل، ومرحلة التّواضع، ومرحلة الاستعمال، ومرحلة المجاز"[1].

يخلص الباحث إلى أنّ هذه الشّبهات جاءها ردّ واقعيّ ومنطقيّ، أنّ المجاز أصيلٌ في لغة العرب، وبها نزل القرآن الكريم، وبها تكلّم محمّد – صلّى الله عليه وسلّم– وكلّ ما أحدث في معناه؛ إنّما يعبّر عن مرونة اللّغة العربيّة.

فائدة المجاز:

إن لم يكن في المجاز زيادة فائدة على الحقيقة لا يُعدل إليه ولكن فائدته هي: "إثبات الغرض المقصود في نفس السّامع، بالتّخييل، والتّصوير حتّى يكاد ينظر إليه عيانا، ألا ترى أنّ حقيقة قولنا: زيد أسد، هي قولنا: زيد شجاع، لكنّ فرقًا بين القولين في التّصوير والتّخييل، وإثبات الغرض المقصود في نفس السّامع؛ لأن قولنا: زيد شجاع لا يتخيّل منه السّامع سوى أنّه رجل جريء مِقْدام، فإذا قلنا: زيد أسد، يخيّل عند ذلك صورة الأسد وهيئته، وما عنده من البطش والقوّة، ودقّ الفرائس، وهذا لا نزاع فيه"[2].

فهذا هو سرّ الجمال في المجاز فتحدّث عنه ابن رشيق (ت 463 هـ) في العمدة فقال: "المجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقعًا في القلوب والأسماع، وما عدا الحقائق من جميع الألفاظ"[3].

المبحث الثاني: مفهوم الانزياح ووظيفته وأنواعه وفوائده ومحاذيره

تمهيد عن الانزياح:

عند تأمّل اللّغة العربيّة، وأساليبها ودلالاتها، وتطوّر مراحل أداء وظيفتها في التّواصل والإبلاغ، ما بين تلقٍ بنمط قديم تقليديّ، وتطوّر إلى نسق أسلوبيّ حديث، تتجلّى روعته بالانزياح، الّذي أصبح يؤدي الوظيفة المنوطة باللّغة، بطريقة أكثر سعة ومرونة في الاستخدام، وأكثر إثارة للاهتمام، فإنّ

[1] المصدر السابق، ص1174.

[2] عتيق، عبد العزيز، علم البلاغة، دار النهضة العربية – بيروت، عام 1985م، ج 1، ص143.

[3] القيرواني، ابن رشيق، كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه، المتوفى: 463 هـ، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل،ط 5، سنة 1401 هـ - 1981 م، ج 1، ص 236.

وظيفة اللّغة الإبلاغيّة المنوطة بها تطوّرت من الاستعمال الأدبيّ، والتّصرّف الفنيّ في عمليّة التّواصل، يتجاوز هذا النّمط الجاهز والمعيار المحدد، إذ إنّه يوجد اضطرابًا وتحولًا في نسقه المنقطع، فيصبح الكلام مزوّدًا ببطاقات تعبيريّة مكثّفة، فيعمل امكانات أسلوبيّة خصيبة، فتتعدّى اللّغة وظيفتها الأساسيّة إلى غيرها من وظائف التّأثير والامتاع وإثارة الاهتمام.

إذ إنّ مراحل تطوّر الاستخدام اللّغويّ والأسلوبيّة، أبرز لنا الانزياح نسقًا حديثًا تتجلّى فيه فنون التّواصل والإبلاغية بجمال يجذب المهتمّين، فالانزياح كما جاء في المجاز بين التّأصيل البلاغيّ العربيّ والنّظريات الأسلوبيّة الحديثة "يكاد الاجماع ينعقد على أنّ الانزياح: خروج عن المألوف أو ما يقتضيه الظّاهر، أو هو خروج عن المعيار لغرض قصد المتكلّم أو جاء عفو الخاطر لكنّه يخدم النّصّ بصورة أو بأخرى وبدرجات متفاوتة"[1].

يعدّ مصطلح الانزياح من المصطلحات الشّائعة في الدّراسة الأسلوبيّة المعاصرة، كما قدِمت غالبًا من العالم الغربيّ، وهو علمٌ قائم بذاته، يقوم على نظريّة متجانسة ومتماسكة، كونها تستند إلى اللسانيات الأدبيّة على اختلاف تياراتها؛ المتباينة طورًا والمتشاكلة أطوارًا أخرى.

مفهوم الانزياح في اللّغة:

* ورد في معجم مقاييس اللّغة: "الزّاء والياء والحاء أصل واحد وهو زوال الشّيء وتنحيه يقال: زاح الشّيء يزيح إذا ذهب"[2].

* وفي معجم اللّغة العربيّة المعاصرة: "انزاح انزياحًا فهو منزاح والمفعول منزاح عنه وانزاح الشّيء زاح وذهب وتباعد وانزاح عن مقعده تنحّى عنه وتباعد"[3].

مفهوم الانزياح اصطلاحًا:

عرف علماء اللّغة العربيّة القدامى "الانزياح في ظلّ المعنى المفهوميّ للعدول، والتّوسع، والاتّساع، ففي النّحو نجد العدول مثقلًا في التّقديم والتّأخير، والحذف، ونجده في الصّرف بخطاب المذكّر، بما يخاطب به المؤنث أو العكس..."[4]، فهذه كوكبة مفاهيميّة من تعريفات بعض العلماء

[1] العمري، محمد، الانزياح في البلاغة العربية أصوله وامتداداته، دار افريقيا الشرق، بيروت، سنة 1999م، ص 99.

[2] الرازي، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، المحقق: عبد السلام محمد هارون، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، سنة1399هـ - 1979م، ج 3، ص 39.

[3] عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب – القاهرة، سنة 1429هـ – 2008م، ط 1، ص 1014.

[4] أبو العدوس، يوسف، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة، عمان،ط 1، سنة 1427هـ –2007م، ص 182.

السّابقين فعقد ابن جنّي فصلًا في الخصائص سماه: باب شجاعة العربيّة تحدّث فيه عن العدول في الحذف والتّأخير والتقديم حيث يقول: "إنّما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة وهي: الاتّساع والتّوكيد والتّشبيه، فإنّ عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتّة"[1]، وأورد ابن الأثير التّوسع على ضربين: "أحدهما يرد على وجه الإضافة والآخر يرد على غير وجه الإضافة"[2]، وجاء عند ابن رشد مصطلحات "الإدارة والاستدلال والتّغيير"[3]. وهي مصطلحات تعادل الانزياح الأسلوبيّ.

يتّضح ممّا سبق أنّ الانزياح الأسلوبيّ يأتي ليحتضن معانٍ عدّة تعتبر من مظاهر استخدام اللّغة فهو عدول، وخروج، واتّساع، وتغيير، واستدلال، والتّوسع في المبني حتّى يتّضح المعنى للمتلقي، فيسهل الفهم للنسق الأدبيّ أو الثقافيّ، ويذكر د. أبو العدوس في كتابه الأسلوبيّة الرّؤية والتّطبيق " ترتبط مصطلحات التّوسع، والاتّساع، والتّغيير، والاستّدلال ارتباطًا وثيقًا بالتّشخيص، الّذي هو صورة من صور الخروج عن المألوف وانتظار اللامنتظر وتوقع اللامتوقع، وهو ضرب من ضروب الانزياح الأسلوبيّ، ومن هذا المنطلق فقد تّمثل هذا الانزياح في كثير من نماذج الشّعر العربيّ القديم والحديث فمن ذلك مخاطبة الطّلل والنّاقة....الخ"[4].

وظيفة الانزياح:

يخدم– في المقام الأوّل النّصّ، ومتلقي النّصّ، ولا حرج في أن نسارع إلى القول "إنّ الوظيفة الرّئيسة الّتي أكثرت الدّراسات الأسلوبيّة من نسبتها إلى الانزياح، إنّما هي المفاجأة"[5]، وغني عن البيان أنّ مفهوم المفاجأة مرتبط أصلًا بالمتلقي، وهو الّذي أوّلَتْهُ الأسلوبية وغيرها من المدارس النّقديّة عناية خاصّة، بل أدخلته ضمن دائرة الإبداع، بعد أن لم يكن له في العصور السّالفة كبيرَ اعتبارٍ للمتلقي.

ويمكننا القول إنّ النّقّاد القدماء قد عرفوا أهمية هذا المصطلح في وجوهه القديمة، وما يُنتجه من مُفاجأةٍ للمتلقي، ولكنّهم لم يعرفوه كما عرفناه نحن، وإنّما عرفوه بمصطلحات عديدة مجزّأة مبعثرة، "إذاً إنّ اليونانيين القدماء، ومن بعدهم العرب، وأخيرًا الغرب قد عملوا خلال هذه الآلاف من السّنين،

[1] ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ)، الخصائص، ط4، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص360.

[2] ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد، المثل السائر، القاهرة، دار الحلبي، 1939م، ص64–67.

[3] تلخيص كتاب الشعر، ابن رشد، ص 80 وما بعدها.

[4] أبو العدوس، يوسف، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ص 183.

[5] بلال، ضحى عادل، نظرية النظم بين المعنى ومعنى المعنى، ط1، عمان: الجامعة الاردنية، 1995م، ص128.

لتطوير هذا المصطلح حتّى غدا على هذا الشّكل؛ أي أنّه نتاج حضاريّ ثقافيّ شاركت فيه جميع الأمم، وليس مخصوصًا بأمَّةٍ معيّنة دون أخرى"[1].

أنواع الانزياح:

أوجز لنا الدّكتور يوسف أبو العدوس أنواع الانزياح في كتابة (الأسلوبيّة الرّؤية والتّطبيق) في خمسة أنواع، "بينما تحدّث الكثير من الباحثين عن أنواع الانزياح، ويذكر أنّ بعضهم أوصلها إلى خمسة عشر انزياحًا"[2]، وهذه الأنواع كما أوجزها لنا:

1- الانزياحات الموضعيّة والانزياحات الشّاملة: صنّفها تبعًا لدرجة انتشارها في النّصّ كظواهر محليّة موضعيّة أو شاملة، فالانزياح الموضعيّ يؤثّر فحسب على نسبة محدودة من السّياق، أمّا الانزياح الشّامل فيؤثّر على النّصّ بأكمله.

2- الانزياحات السّلبيّة والانزياحات الإيجابيّة: صنّفت تبعًا لعلاقتها بنظام القواعد اللّغويّة، حيث نعثر على انزياحات سلبيّة تتمثّل في تخصيص القاعدة العامّة وقصرها على بعض الحالات، كما توجد انزياحات إيجابيّة، تتمثّل في إضافة قيود معينة إلى ما هو قائم بالفعل.

3- الانزياحات الدّاخليّة والانزياحات الخارجيّة: يمكن تصنيف الانزياحات من وجهة النّظر الّتي تعتمد على العلاقة بين القاعدة والنّصّ المزمع تحليله إلى انزياحات داخليّة وانزياحات خارجيّة.

4- الانزياحات الخطيّة (السّياقيّة)، والصّوتيّة، والصّرفيّة، والمعجميّة، والنّحويّة، والدّلاليّة، وذلك تبعًا للمستوى اللّغويّ الّذي تعتمد عليه.

5- الانزياحات التّركيبيّة، والاستبداليّة: وذلك تبعًا لتأثيرها على مبدأي الاختيار، والتّركيب في الوحدات اللّغويّة. فالانزياحات التّركيبيّة تتّصل بالسّلسلة السّياقيّة الخطيّة للإشارات اللّغويّة عندما تخرج على قواعد النّظر والتّركيب. أمّا الانزياحات الاستبداليّة فتخرج على قواعد الاختيار للرّموز اللّغويّة.

فوائد الانزياح:

يعدُّ الانزياح تقنية فنيّة يستخدمها الشّعراء للتعبير عن تجربتهم الشّعوريّة، وللدّكتور علي ووليئي رأي "أنّه إضافة إلى كونه عامل تميّز للخطاب الشّعريّ، فله دور جماليّ يسهم في لفت انتباه القارئ، ومن ثمة التّأثير فيه، وإيصاله إلى الإمتاع واللّذة، وتوصيل الرّسالة الّتي يريدها الخطاب، ولا

[1] القرم، توفيق محمود علي، وأبو العدوس، يوسف مسلم (مشرف)، الانزياح الأسلوبي في شعر السياب، عمان: جامعة اليرموك، 2007م، ص65 – 67.

[2] أبو العدوس، يوسف، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ص187-188.

يختصّ بشعراء عصر معين، وهي من القضايا اللّغويّة الّتي تتعلّق بالمعنى وتندرج ضمن مبحث الأسلوبيّة، وهو خروج عن المألوف، أو ما يقتضيه الظّاهر، أو هو خروج عن المعيار؛ لغرض قصد إليه المتكلّم، أو جاء عفو الخاطر، لكنّه يخدم النّصّ بصورة أو بأخرى، وبدرجات متفاوتة"[1].

ومن غايات الانزياح لفت الانتباه، ومفاجأة القارئ، أو السّامع بشيء جديد، والحرص على عدم تسرّب الملل إليه، ومن هنا يميل بعض علماء الأسلوب إلى اعتبار الانزياح حيلة مقصودة لجذب انتباه القارئ. "فالكتابة الفنيّة تتطلّب من الكاتب أن يفاجئ قارئه من حين إلى حين بعبارة تثير انتباهه حتّى لا تفتر حماسته لمتابعة القراءة، أو يفوته معنى يحرص الكاتب على إبلاغه إياه، وفي هذا تختلف الكتابة الفنيّة عن الاستعمال العادي للّغة"[2].

يعدّ الانزياح أداة مهمّة من أدوات الاتصال اللّغويّ الدّلاليّ، فالرّسالة المعطاة "تتراوح عن النّمط بطريقتين:

- الأولى: أنّ تتضمّن بعض الملامح الّتي لا نجدها خارجة عنها.
- الثّانيّة: إدخال محدّدات اضافيّة أبعد من محدّدات القاعدة نفسها، وذلك كاضطرار الشّاعر إلى اختيار كلمة تخدم قافيته"[3].

محاذير الانزياح:

هناك العديد من المحاذير في موضوع الانزياح، ويضيف موضحًا الدّكتور يوسف أبو العدوس في كتابه أنّ "الانزياح ظاهرة أسلوبيّة تكون أكثر قبولا في نفس القارئ إذا جاءت عفو الخاطر دون تكلّف، شأنها في ذلك شأن ألوان البديع، إذ إنّ المبالغة في هذا الأمر تقضي إلى التّعقيد، ويتحوّل الأسلوب ساعتئذ إلى غموض فلا بدّ من الاعتدال في الانزياح؛ لأنّ المبالغة ستكون على حساب المعنى، فيشوبه الغموض ويستغلق فهمه على القرّاء"[4].

وقد تناول النّقاد والأسلوبيّون محاذير الانزياح، ويمكن عرضها على النحو التالي:

1. من الصعوبة بمكان تحديد الانزياح، حيث إنَّه أمر ليس له نقطة ينطلق منها وأخرى يتوقّف عندها، أي من الصعب تحديد انطلاقه واستقراره.

[1] نظري، علي ووليئي، يونس، ظاهرة الانزياح في شعر أدونيس، دراسات الأدب المعاصر، السنة الخامسة، ربيع 1392، العدد السابع عشر، ص86.

[2] عياد، شكري محمد، اللغة والابداع، ناشيونال بريس، ط 1، سنة 1980م، ص79-81.

[3] عيد، رجاء محمد (1998م): البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، ط1، القاهرة: وكالة الأهرام للتوزيع، ص146-147.

[4] يوسف أبو العدوس، الأسلوبية والتطبيق، عمان: دار المسيرة، 2007، ص 195.

2. هناك العديد من الانزياحات التي ليس لها تأثير أسلوبيّ، مثل الأخطاء النّطقيّة أو الكتابيّة، وكذلك التّراكيب النّحويّة الخاطئة والمحذوفات والجمل غير الكاملة.

3. لا يلحظ الدّارس عند دراسة النّص أسلوبيّا؛ إلّا الصّفات الأسلوبيّة غير العاديّة (أي الصفات المنزاحة)، ويهمل النّصّ وتراكيبه المتعدّدة.

4. إنّ تصوّر الأسلوب على أنّه انزياح صالح لأن يكون وسيلة منهجيّة، ولا يمكن اتّخاذه أساسا لنظريّة أسلوبيّة، ومن ثمّ فإنّ ما ادّعاه باروكو 1972م بقوله: "من الآن فصاعدا إنّ بقاء الأسلوب ليس سوى نتيجة لانزياح ما ادّعاء باطل"[1].

5. إذا عددنا الأسلوب هو الانزياح، فهذا يعني أنّ النّصوص الّتي لا تنزاح عن المعيار تخلو من الأسلوب.

6. "ليس كلّ انزياح يصنع الأسلوب، وكذلك كلّ مفاجأة تنتج الأسلوب"[2].

7. إنّ أهمّ مشكلة تعترض الانزياح هي تحديد طبيعة المعيار الّذي يحدث عنه الانزياح... "ومن هنا أشير إلى العنصر الّذي يتمّ عنه الانزياح بالقاعدة، والمعيار، واللّغة العاديّة، والأسلوب المستعمل، واللّغة النّثريّة، والنّسق المثاليّ، والنّمط، والأصل المألوف، والمعنى الأصليّ، وأصل الوضع، والسّنن اللّغويّة، والاستعمال السّائر، والاستعمال العاديّ، والنمط العام، والتّعبير الشّائع، والتّعبير البسيط، والاستعمال الدّارج، والاستعمال المألوف، والنّمط، واستعمال النّمط"[3].

8. إنّ الانزياح ليس انزياحا مطلقا؛ "أي ذلك الانزياح الّذي يفلت من قبضة الاستعمال العاديّ مرّة، وكلّ مرة، وإنّما هو انزياح قد يصبح غدا استعمالا عاديّا، وذلك لارتباطه بجدليّة الثّقافة الّتي يتكلّم باسمها"[4].

---

[1] شبلز, برند, علم اللغة والدراسات الأدبية: دراسة الأسلوب والبلاغة علم اللغة النَّصي, ترجمة محمود جاد الرب, الدار الفنية للنَّشر, الرياض, سنة 1987، ط 1، ص 55-56.

[2] شبلز, برند, علم اللغة والدراسات الأدبية: دراسة الأسلوب والبلاغة علم اللغة النَّصي, الأسلوبية منهجا نقديا، ص55-56.

[3] جيرو، بيير، الأسلوبية والأسلوب، ترجمة منذر عياشي, مركز الإنماء القومي, لبنان بيروت, (د.ط)، د.ت، ص99-100.

[4] حولة، عبد الله، الأسلوبية الذاتية أو النشوئية، مجلة فصول عدد خاص بالأسلوبية،مجلد 5، العدد 1، 1984م، ص86.

9. يلاحظ أنّ مصطلح، الانزياح غير مستقر فقد تعدّدت مسمياته حتّى أنّ القارئ يظن أنّه يتعامل في كل مرّة مع مصطلح جديد منها: التّجاوز، والعدول والفضيحة، والشّذوذ اللّغويّ، والانتهاك، والمجاورة. "وهذه المصطلحات ليست في مستوى واحد في دلالتها على المفهوم، بل إن كثيرا منها يسيء إلى لغة النّقد، ومن هنا فإنّ المصطلحات الأكثر شيوعا هي: الانحراف، والعدول، والانزياح"[1].

المبحث الثالث: المجاز والانزياح مقاربة نقديّة بين الدّرس البلاغيّ العربيّ والدّراسات النّقديّة الوافدة:

تضافرت جهود العلماء في دراسة المجاز والانزياح، **وهذه كوكبة تتحدث عن المجاز:**

1 – ابن رشيق: قال ابن رشيق في العمدة متحدّثا عن منزلة المجاز وقيمته في لغة العرب بقوله: "العرب كثيرًا ما تستعمل المجاز، وتعدّه من مفاخر كلامها؛ فإنّه دليل الفصاحة، ورأس البلاغة، وبه بانت لغتها عن سائر اللّغات"[2].

2 – الجاحظ: الجاحظ هو أوّل مُصَنِّف عربي استعمل لفظ المجاز والاستعارة، استعمالًا قريبًا من استعمال البلاغيين المتأخّرين، فلم يستخدم المجاز بالمفهوم الّذي استخدمه اللّغويّون المتقدّمون، فعرَّف المجاز:. "هو أسلوب يلجأ إليه الأديب مُؤثرًا له على أسلوب الحقيقة لغرض فنيّ"[3]، والجاحظ أوّل من أبرز الاستعارة إلى حيّز الوجود، وبهذا يكون الجاحظ سلّم بوجود المجاز في كلام العرب.

3 – ابن قتيبة: اتّخذ ابن قتيبة المجاز وسيله منفردة للتّأويل، فأصبح المجاز عنده مرادفًا للتّأويل، فلم يقابل الآيات المتشابهات بالآيات المحكمات كالمعتزلة، فاعتمد على المجاز في التّأويل، وبهذا يكون ابن قتيبة سلَّم بوجود المجاز في القرآن الكريم واللّغة العربيّة عامّة، فيقول:. "وللعرب مجازات ومعناها طرق القول...، ففيها الاستعارة، والتّمثيل، والقلب، والتّقديم، والتّأخير، والحذف، والتّكرار، والإخفاء، والإظهار، والتّعريض، والكناية، والإيضاح...، وبكل هذه المذاهب نزل القرآن"[4]. وقوله يكشف اهتمامه بدراسة المجاز في القرآن الكريم.

4– كوهين: فقد قدّم كوهين افتراضًا رياضيًّا منهجيًّا، هو وجود ثابت يجمع بين مختلف الشّعراء، وهو الطّريقة نفسها في الانحراف عن اللّغة القاعديّة. وهذا الانحراف على صعيدي اللّغة الصّوتيّ

[1] الخرشة، أحمد غالب، أسلوبية الانزياح في النص القرآني، ط 1، سنة 2014م، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان الاردن، ص23.

[2] القيرواني، ابن رشيق، كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ص 265.

[3] الحفناوى، محمد، الافكار البلاغية عند الاصوليين، دار المعارف الإسلامية, سنة 1985م، ص 240.

[4] الحفناوى، محمد، الافكار البلاغية عند الاصوليين، ص 240.

مثل الوزن، والمعنويّ: فيما يخصّ المجاز بشكل خاصّ، فيقول:" إنّ هذا يفتح الباب لدراسة الشّعر كعلم كميّ إحصائيّ، ويصبح الفعل الشّعريّ قابلا للقياس لدرجة أنّه سيمكّن الحديث عن النّسبة المئويّة لشعريّة قصيدة ما".

فيؤكّد "كوهين" أنّ الطّريقة الإحصائيّة تساعد على معرفة خطأ أو صواب، الافتراض الرّياضيّ المعتمد في الدّراسات اللّغويّة البنيويّة"[1]، والأسلوب ذو بنية نوعيّة لا كميّة، فالانحراف ضروريّ لإنشاء النّصّ الشّعريّ وبهذا تمتحن أصالة الشّاعر.

وهذه الكوكبة الثّانية التي تحدثت عن الانزياح:

1- المسّدي: يرى المسّدي "أنّ قيمة الانزياح تنطلق من كونه يرامز إلى صراع ما بين اللّغة والانسان"[2]، فتكمن أهمية الانزياح في الشّعر عنده في أنّ المجاز اللّغويّ يؤدّي وظائفه الشّعريّة بدرجة أقوى من الاستعمال الحقيقيّ للألفاظ.

2 - تمام حسان: يعتبر تمام حسان الظّاهرة الشّعريّة " وعاء للتجارب الشّعبيّة والعادات والتّقاليد والعقائد الّتي تتوارثها الأجيال واحدًا بعد الآخر"[3]، فالانزياح مصطلح مرتبط بالخطاب الشّعريّ المجازيّ الحديث وبالشّعريّة العربيّة القديمة، ويعرف بالعدول والشّجاعة العربيّة، والالتفات وغيرها، ويعتبر الانزياح أسلوب من هذه الأساليب الظّاهرة الشّعريّة.

3- صلاح فضل: ويرى صلاح فضل أنّ الانزياح نوعان، وهما:

-الاستبداليّ، ويسميه انحرافًا فيقول:- "الانحراف الاستبداليّ يخرجُ على قواعد الاختيار للرّموز اللُّغويّة؛ كمثل وضع الفرد مكان الجمع، أو الصّفة مكان الاسم، أو اللّفظ الغريب بدل المألوف".

-التّركيبيّ نوعَ مِن الانزياح يتّصل "بالسّلسلة السّياقيّة الخطيّة للإشارات اللُّغويّة، عندما تخرج على قواعد النّظم والتّركيب؛ مثل الاختلاف في ترتيب الكلمات"[4].

4 - كوهين: هو أوّل من خصَّ الانزياح بحديثٍ مستفيض في الحديث عن اللّغة الشّعريّة. " فمحاولات كوهين وغيره من المنظرين لتقدِّمَ الشّعريّة خُطوةً أولى نحو موطنها، ومن ثمّ تمّ التّميّز بين الشّعر والنّثر، فقامت نظريّة الانزياح لديه على مجموعة من الثّنائيّات ضمن استراتيجيّة

[1] كوهن، جان، بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، المغرب، ط 1، سنة1986م، ص 76.

[2] المسدّي، عبد السلام، الاسلوبية والأسلوب، دار العربي للكتاب، ط 3، ص 106.

[3] مناهج البحث في اللغة المؤلف: تمام حسان الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية سنة 1990م، ص 268.

[4] فضل، صلاح، علم الأسلوب ومبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة، 1998، ص 212.

الشّعريّة البنيويّة، لاسيما في كتابه (بنية اللّغة الشّعريّة الّذي ظهر عام 1966)، أثار فيه ثنائيّة المعيار والانزياح مستمدًا هذه المفاهيم من الأسلوبيّة الشّائعة في فرنسا "[1].

5- ريفاتير: يرى ريفاتير أنّ الانزياح "يكون خرقًا للقواعد حينًا، ولجوءًا إلى ما ندر حينًا آخر، فأمّا في حالته الأولى، فهو من مشمولات علم البلاغة، فيقتضي إذًا تقييمًا بالاعتماد على أحكامٍ معياريّة، وأمّا في صورته الثّانية، فالبحث فيه من مقتضيات اللّسانيّات عامّة، والأسلوبيّة خاصّة"[2]، ويعتبره حيلة مقصودة لجذب انتباه القارئ.

الخاتمة:

يستفاد من دراسة هذا التّقرير، حول العلاقة بين الانزياح الأسلوبيّ والمجاز، أنّ الانزياح هو المجاز، ويقول ذلك ابن جنّي وبعض العلماء، ويظهر أيضًا أنّ الانزياح الأسلوبيّ يشتمل أنواعًا عدة، منها: الانزياح الدّلاليّ، ويتضمّن جزءًا يسمّى المجاز، ويعرف عند العرب بالسّليقة والإلهام أصيلًا في لغتهم، وبعد القرن الثّالث الهجريّ تمّ الاصطلاح عليه، وغيّر المعتزلة معناه وكثر استخدامه، والاهتمام به.

وهناك حقيقة استنتجت، وهي أنّ الانزياح والمجاز فنّان وأسلوبان موجودان في اللّغة العربيّة بالسّليقة والإلهام، قبل نزول القرآن الكريم على النبي – صلّى الله عليه وسلّم– ومثبتان في النّصوص القرآنيّة، والأحاديث النّبويّة الشّريفة، وفي أقوال الصّحابة والتّابعين – رضي الله عنهم – وجاء المتأخّرون فأظهروا هذه المصطلحات، منهم من جعل المجاز جزءًا من الانزياح، ومنهم من جعل الانزياح والمجاز ضربين مختلفين، ويميل الباحث إلى أنّ الانزياح هو أشمل وأوسع من المجاز، ويشمل المجاز، وهما أصيلان في اللسان العربيّ، ولا صحة لما ذكره الدّارسون اليوم من أنّه علم غربيّ، فبهما يتّضح المعنى ويثار الاهتمام، ويظهر جمال اللّغة العربيّة، ودوّنت فيهما دراسات لنيل درجتي الماجستير والدّكتوراه.

إنّ الانزياح ظاهرة مهمّة في اللّغة العربيّة؛ فهو وسيلة لتوسّعها، وأداة فنيّة وجماليّة عرفتها اللّغة منذ القدم؛ حيث نجد أنّ العرب قديما تنبهوا للظّاهرة، ولو بمصطلحات أخرى أهمّها العدول؛ كما نجد عند ابن جنّي، والجرجاني، وابن رشيق القيرواني، وغيرهم، بل أفضل من اهتم به الجرجاني وعرفه بالعدول. وفي العصر الحديث ظهر مفهوم الانزياح، سواء عند العرب أو عند الغرب، بمصطلحات كثيرة كالانحراف، والميل عن القاعدة، والتّغريب، والجسارة اللّغويّة.

---

[1] بوحلاسة، نوار، الانزياح بين أحادية المفهوم وتعددية المصطلح، مجلة مقاليد، العدد الثاني، سنة 2012م، جامعة قسنطينة – الجزائر، ص 15.

[2] عبدالسلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، ط3، 103.

وقد ارتبط الانزياح بالدّراسة الأسلوبيّة؛ حيث عرّف بعضهم الأسلوب بأنّه انحراف عن قاعدة، وانزياح عن قانون أو عُرْف لغويّ، وخروج عن المألوف، وخرق للسّائد، إلّا أنّ الّذي يجب الاتّفاق عليه هو أنّ الانزياح يتطلّب أن تكون له دلالة، وأن يحقق إضافة جماليّة للّغة، وإلّا فهو مجرد شذوذ لغويّ لا يقدّم ولا يؤخّر، ويعتبر جون كوهين من أشهر المشتغلين على مفهوم الانزياح والمجاز من المتأخّرين، ويرتبط المجاز بالانزياح الدّلاليّ (التّصويريّ) والمجاز فيه انحراف في استخدام اللفظ في غير معناه كالأسد للشّجاعة، والانزياح في انحراف، مثل قولنا: مات خالد منذ السّنين (نقول نبت الربيع على دمنته) وهذا انزياح يدلّ على انقضاء الأجل قديمًا بصورة جماليّة، إذن فالانزياح والمجاز يتفقان في الخروج عن المألوف.

إنّ الانزياح يظهر في اللّغة في شكلين اثنين، تتولّد منهما مجموعة من الأشكال والتجليات الانزياحيّة، فالأوّل: هو الانزياح الدّلاليّ، الّذي يرتبط بالصّور البلاغيّة؛ كالاستّعارة والتّشبيه والمجاز؛ ولذلك يمكن تسميته بالانزياح التّصويريّ، والثّاني هو الانزياح التّركيبيّ الّذي يرتبط بالتّركيب والنّحو والمعجم وما يتّصل بهما.

وهناك محاذير مشتركة بين استخدام الانزياح والمجاز باستعمال الألفاظ في غير ما وضعت له، والتّوسع في الاستعمال إلى حدّ استخدام الألفاظ البذيئة والنّابية أو ما يدلّ عليها.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم
1. ابن الأثير، ضياء الدين (2007): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنّشر.
2. ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد، المثل السائر، القاهرة، دار الحلبي، 1939م.
3. ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ)، الخصائص، ط4، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
4. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (1299هـ): لسان العرب، مادة (جوز)، القاهرة: دار بولاق، ج 5.
5. أبو العدوس، يوسف، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة، عمان،ط 1، 2007م.
6. بلال، ضحى عادل، نظرية النظم بين المعنى ومعنى المعنى، ط1، عمان: الجامعة الاردنية، 1995م.

7. بوحلاسة، نوار، الانزياح بين أحادية المفهوم وتعددية المصطلح، مجلة مقاليد، العدد الثاني، سنة 2012م، جامعة قسنطينة – الجزائر.

8. التركي، إبراهيم بن منصور (2018م): إنكار المجاز عند ابن تيمية عرض ودراسة، ط2، الرياض: دار كنوز للنشر والتوزيع.

9. جيرو, بيير, الأسلوبية والأسلوب, ترجمة منذر عياشي, مركز الإنماء القومي, لبنان بيروت, (د.ط)، د.ت.

10. حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية سنة 1990م.

11. الحفناوى، محمد، الافكار البلاغية عند الاصوليين، دار المعارف الإسلامية, سنة 1985م.

12. حولة، عبد الله، الأسلوبية الذاتية أو النشوئية، مجلة فصول عدد خاص بالأسلوبية،مجلد 5،العدد 1، سنة1984م.

13. الخرشة، أحمد غالب، أسلوبية الانزياح في النص القرآني، ط 1، سنة 2014م، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان الاردن.

14. الرازي، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، المحقق: عبد السلام محمد هارون،معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، سنة1399هـ - 1979م،ج3.

15. شبلز, برند, علم اللغة والدراسات الأدبية: دراسة الأسلوب والبلاغة علم اللغة النَّصي, ترجمة محمود جاد الرب, الدار الفنية للنَّشر, الرياض, سنة 1987، ط 1.

16. عبدالسلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، ط3.

17. عتيق، عبد العزيز، علم البلاغة، دار النهضة العربية – بيروت، عام 1985م، ج1.

18. عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب – القاهرة، 2008م، ط 1.

19. العمري، محمد، الانزياح في البلاغة العربية أصوله وامتداداته، دار افريقيا الشرق، بيروت، سنة 1999م.

20. عياد، شكري محمد، اللغة والابداع، ناشيونال بريس، ط 1، سنة 1980م.

21. عيد، رجاء محمد (1998م): البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، ط1، القاهرة: وكالة الأهرام للتوزيع.

22. فضل، صلاح، علم الأسلوب ومبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة، 1998.

23. القرم، توفيق محمود علي، وأبو العدوس، يوسف مسلم (مشرف)، الانزياح الأسلوبي في شعر السياب، عمان:

24. القيرواني، ابن رشيق، كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه، المتوفى: 463 هـ، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل،ط 5، سنة 1401 هـ - 1981 م، ج 1.

25. كوّاز، محمّد كريم (2006م): أبحاث في بلاغة القرآن الكريم، ط1، بيروت: مؤسسة الانتشار العربيّ.

26. كوهن، جان، بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، المغرب، ط 1، سنة1986م.

27. كوين، جون (1990): بناء لغة الشعر، ترجمة: أحمد درويش، ط1، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة.

28. لداك، آمال (2015): الانزياح في البلاغة العربية: أصوله وامتداداته، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي.

29. لوشن، نور الهدى (2006م): علم الدلالة (دراسة وتطبيق)، القاهرة: المكتب الجامعي الحديث.

30. المحمود، عبد الرحمن بن صالح (1995م): موقف ابن تيمية من الأشاعرة، ط1، الرياض: مكتبة الرشد – ج3.

31. المسدّي، عبد السلام، الاسلوبية والأسلوب، دار العربي للكتاب، ط 3.

32. النجار، أحمد بن محمد الصادق (1435هـ): المجاز في لغة العرب قضية خيالية ذهنية، ط1، المدينة المنورة: دار النصيحة.

33. نظري، علي ووليئي، يونس، ظاهرة الانزياح في شعر أدونيس، دراسات الأدب المعاصر، السنة الخامسة، العدد السابع عشر، ربيع 1392.

34. النملة، عبد الكريم بن علي بن محمد، المهذب في علم أصول الفقه المقارن، مكتبة الرشد – الرياض، ط 1، 1999م.

35. الهاشمي، أحمد جواهر (1999م): البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ط2، بيروت: المكتبة العصريّة.